مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

قصبة مَنْتْ
التاريخ والذاكرة

د. جواد التباعي
دكتوراه في التاريخ والتراث
مهتم بالبحث في تاريخ وتراث بلاد زيان
فاس – المملكة المغربية

مُلَخّص

نزخر بلاد زيان حول مدينة خنيفرة وسط المغرب بتراث معماري زاخر نوّثته العديد من المعالم، من بينها القصبات التي لا تقل عراقة عن نظيراتها ال ٧٦ عبر أنحاء البلاد رغم أنها لم تحظ بالعناية الكافية. في هذا الإطار وسعيًا منا للتعريف بهذه المآثر، وبعد التطرق في مقال سابق لقصبة موحى أوحمو الزياني بعاصمة المنطقة، نهدف من وراء هذا المقال للتعريف بهذه القصبة "الشبه مغمورة" بين الباحثين خاصة وأنها ثاني أهم قصبات المنطقة، واتبعنا في ذلك منهجًا تاريخيًا وصفيًا من خلال الغوص في سبب تسمية القصبة وعلاقتها بالسهل، السياق التاريخي لتشييدها، وأبرز مكوناتها وخصائصها المعمارية، وإبراز أهميتها في تاريخ المغرب بصفة عامة وأدوارها الريادية في تاريخ قبائل زيان على وجه الخصوص. ذلك أنها مكنت المخزن من ضبط تحركات القبائل الجبلية نحو السهل، ومكنته من تأمين الطرق، وجمع الضرائب. تميز معمارها عموما بتكيفه مع محيطه العام، وساهمت عبر تاريخها في حفظ الذاكرة الجماعية للمنطقة حتى اليوم. لذلك نوصي بالدعوة لتكثيف البحث الأركيولوجي والسيوسيولوجي بمحيط القصبة. ونهمس في آذان القائمين على الشأن الثقافي على كافة المستويات (المحلي، الجهوي، الوطني) للعمل على تثمين وحماية هذا الموقع ومواقع أخرى مشابهة يمكن أن تشكل في المستقبل القريب مسارات سياحية تجمع بين السياحة الثقافية والرياضية، خاصةً أن المنطقة نقطة التقاء بين السهل والجبل، وتتوفر على كل شروط الراحة والسياحة.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٢ أكتوبر ٢٠٢٢
تاريخ قبول النشر: ٢٦ نوفمبر ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

الفترة الإسماعيلية؛ التراث المعماري؛ قبائل زيان؛ تاريخ المغرب؛ المولى إسماعيل

معرّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.309679

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

جواد التباعي. "قصبة مَنْت: التاريخ والذاكرة".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد الثامن والخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٢. ص ٥٨ – ٦٤.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: jaouadtabbai@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقَدِّمَةٌ

ارتبطت دراسة القصبات عادة برصد التطورات السياسية والاقتصادية المرافقة لها، مغفلة بذلك التحولات الأخرى التي ترافق إحداث هذا النوع من العمارة الدفاعية التي تكون معرضة للهجوم في أي لحظة. وهذا ما يجعل أهلها في وضعية دفاعية على الدوام.

تنتشر ببلاد زيان مجموعة من القصبات والقلاع العسكرية التي كانت وسيلة لتوسيع دائرة السلطة السلطانية. وقربت المسافة بين مركز القرار والمجال الممتد[١]، على الأقل منذ العهد المرابطي. واكتسى نظام القصبات خلال عهد المولى إسماعيل طابعًا جديدًا تجلى في توظيفها لحماية الحدود الخارجية، وجمع الضرائب، وردع القبائل الثائرة قبل أن تصبح النواة الأولى لمجموعة من مراكز ومدن[٢] البلاد. نركز في هذا الفصل على دراسة وتثمين قصبات بلاد زيان شبه المندثرة كقصبة أَدْحْسَانْ. ونعرف بالقصبات التي تصارع من أجل البقاء كشاهد ثقافي على مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة كقصبتي موحى أوحمو الزياني، ومنت. ومجهودات وسبل إحياء أمجادها لتبقى شاهدا حيا عن ذاكرة المنطقة.

القصبة "Casbah" لغة: "جوف القصر أو القصر نفسه، وقصبة السواد مدينتها، وهي أيضا القرية"[٣]. واصطلاحًا استحكامٌ حربي بُني للدفاع عن المدينة وحماية الممر الرابط بين السهل والجبل. تشمل قصر القائد ومستقر عائلته ومقربيه وحُماته، ومستودعات المال والسلاح[٤]، وتُعَدّ ملجأ لاحتماء القائد في حالة سقوط المدينة أو عند ثورة محتملة لسكانها[٥]. يرى باحث أن للقلعة والقصبة غاية واحدة هي التحصن ضد العدو، إلا أن القلاع أقرب إلى جهاز للدولة منها إلى جهاز للقبيلة أو "الجْمَاعَـةْ"، بينما تعد القصبة مركز السلطة السياسية والروحية بالمدينة[٦]. وترى باحثة أخرى أن القصبة كلمة مغربية تقابلها القلعة في المشرق[٧].

أولاً: قصبة مَنْتْ (الموقع والتسمية)

تعرف قصبة مَنْتْ عند جيرانها بـ "إغرم أقديم"، وتمييزا لها عن " إغرم أوسار" جوز لنا انتماؤنا للمنطقة أن نطلق عليها ابتداءً من اليوم "قصبة منت". تقع بعد حوالي ٦ كلم من مركز أكْـلمُوسْ بإقليم خنيفرة وسط المغرب، على الطريق الجهوية نحو ولماس على ارتفاع ١٢٨٠م عن سطح البحر عند قدم جبل أمْدغُوسْ (١٥٣١م). شيدت على خط التماس بين زيان، وقبائل مجاورة خاصة زمور وكروان، وسط أزاغار زيان على كتلة ما قبل كمبرية، كلها عيون متدفقة فوق سطح الأرض حتى في عز الصيف. لا تبعد كثيرا عن واد أكْـلمُوسْ أبرز وديان غرب زيان[٨].

تشير روايات من العقد الثاني من القرن العشرين إلى أن Mintكلمة فرنسية مقابلة للكلمة المحلية "فليو"، لكونه أكثر الأعشاب انتشارًا بمروج الهضبة. لكن هذه الرواية لا تصمد أمام ورود الكلمة في المصادر التاريخية، وتحديدًا عند أبي القاسم الزياني كقصبة تاريخية كانت تضاهي قصبات أدخسان وتادلا. وعثرنا على التسمية أيضا في مخطوط يعود إلى زمن محمد بن مبارك التستاوتي، تشير إلى توقف الجيش السعدي بها. وانطلاقًا من نفس المخطوط، نلاحظ أن مَنْتْ تحريف لكلمة "أُمَنْتْ"، وتذكر أن قائد جيش أحمد المنصور كان يُكذِّبُ كرامات الشيخ محمد بن مبارك التستاوتي، فقام هذا الأخير بإطلاق النحل عليه في "حادثة النحل"[٩]. فر قائد أحمد المنصور عبر تازطوط[١٠] (أحد بوحسوسن الحالية) إلى ما بعد اعْوُينَاتْ وأجْيِرَ على الاعتراف بكرامات الشيخ المذكور قائلا: "أُمَّنْتُ بالله والرسول" في إشارة لتصديقه لكرامات التستاوتي فسميت المنطقة بأَمَنْتْ[١١]، وتدريجيا حذفت الألف لتبقى مَنْتْ.

وفي طرح آخر عثرنا على كلمة "منت" في الثقافة الحسانية (ثقافة سكان الصحراء المغربية) حيث يقولون: "هـذِه أرضُ مَنْتْ" أي: هذه أرض سهلية يتأخر فيها الخصب والاخضرار مدة طويلة بعد جفاف الأراضي المجاورة، وهي الصفة التي تنطبق على مروج وسهول منت الخصبة. لكن السؤال الذي يتطلب تعميق البحث هو: **ما علاقة منطقة منت بقبائل الجنوب المغربي**؟

في محاولة أولية للإجابة على هذا السؤال نجد أنفسنا أمام طرحين:

الأول: أن التسمية جاءت مع "عبيد البخاري" المنحدرين من الجنوب المغربي، الذين استقروا بالقصبة. الثاني: يعود إلى العلاقة التاريخية بين قبائل "تيدرارين" بجنوب المغرب، وضريح مولاي بوعزة المعروف عندهم بذي القبرين حيث يرجح ما توفر من معطيا أنهم أثناء زياراتهم لضريح الولي بعد وفاته مروا من المنطقة التي لا تبعد عن الضريح إلا بحوالي ٢٠ كلم، فأطلقوا عليها هذا الوصف الجغرافي المقتضب، وندعم هذا الرأي باستقرار بعض العائلات المنحدرة من الصحراء المغربية بمنطقة منت حتى اليوم.

عمومًا وفي غياب معطيات وأدلة ملموسة يمكن الأخذ بطرحي التأصيل الطوبونيمي للكلمة فالثاني هو تأصيل طبيعي جيولوجي للمنطقة تؤكده المعطيات على الأرض، بينما تحدد

الرواية المكان بدقة بغض النظر عن صحة الكرامة من عدمها. تتجاوز مساحتها ٦٢٠٠ هكتار، ويتراوح ارتفاع الهضبة بين ١١٣١م عند وادي إفزاون و١٢٩٥م، عند بداية قدم جبل أمْدغُوسْ.

ثانيًا: السياق التاريخي لتشييد قصبة مَنْث وأهم مكوناتها المعمارية

استغلت قبائل الرحل التي كانت تجوب المراعي الممتدة جنوب الأطلس الكبير، أحد نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي للقيام تحركات قبلية واسعة النطاق غيرت إلى حد بعيد الخريطة البشرية لمغرب هذه المرحلة. ونتج عن ذلك انهيار اقتصادي واضطراب اجتماعي، وانشغال الدولة العلوية بمشاكل المناطق الشمالية، فاندفعت في عمليات غزو واسعة لتركيز وجودها في المجال.

تدافعت داخل مجال دراستنا قبائل عدة أبرزها زمور وزعير وزيان وكروان وأيت نظير، لكن منطق القوة حسم لصالح زيان. وبهدف الحد من هذا التدافع شيد المولى إسماعيل ستًا وسبعين قصبة، تمتد من نواحي وجدة حتى وادي نون بالسوس الأقصى[١٢] لضمان استقرار نسبي للمغرب خلال فترة حكمه. ونظرًا لما عرفه الأطلس المتوسط من محاولة إيجاد سلطة بديلة بقيادة الإمارة الدلائية، صار لزاما على المولى إسماعيل بناء أو تجديد قصبة تتناسب وحجم التحديات التي خلفها هذا الحدث، ومنع القبائل الجبلية من الزحف نحو هضاب مَنْث الخصبة فشيد بها قصبة لضبط الدينامية الاجتماعية للقبائل، على امتداد الطرق التجارية السلطانية الكبرى[١٣]. لكن الإهمال والتدهور الذي وصلت إليه اليوم، يستدعيان إماطة اللثام عن مكوناتها، وأهم أدوارها التاريخية تمهيدا لمشاريع تثمينها وتوظيفها في السياحة الثقافية القروية.

ينفرد أبو القاسم الزياني بالإشارة إلى أن المولى إسماعيل أمر "ببناء قصبة مَنْث وقصبة تادلة"[١٤] سنة (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)، بالتزامن مع بناء قصبة أدخسان. كانت بذلك واحدة من قصبات الجبهة المتقدمة التابعة لقصبة أدخسان، تنطلق منها الحركات لردع القبائل المتمردة بأزاغار زيان الحيوي، وتتوقف بها القوافل التجارية القادمة من الغرب نحو تافيلالت. ودليلنا في ذلك إحاطتها بسور واحد. وظفت لمراقبة تحركات القبائل المجاورة، ومنعها من النزُول للمرعى والحرث ونحوهما.[١٥] بالمقابل لم تشر المصادر التاريخية الأخرى لا من قريب ولا من بعيد إلى القصبة، رغم أنها كانت إلى جانب قصبتي أكواري وتادلا أبرز وسائل حماية طريق الغرب. وضمان أمن الطرق التجارية الواصلة بين الأقاليم الجنوبية وبلاد السودان إضافة إلى استخلاص المستحقات الجبائية[١٦].

بقيت القصبة غير معروفة لدى الباحثين المغاربة وحتى المحليين، لكن الإلحاح في البحث والسؤال عن موقعها وآثارها، وتحديد موقعها طيلة هذا العمل قادنا للوصول إليها صيف ٢٠١٩.

مكنتنا التحريات الميدانية من العثور على بقايا قصبة مَنْث وهي قصبة مربعة الشكل مكونة من:

الأسوار: وهي أسوار تنسجم مع محيطها العام فتخلب المناظر، أبعادها (٩٠X٩٠م)، وسمكها ١,٥م. تتخللها فتحات مربعة ضيقة ومنتظمة أفقيا، تمكن من استعمال البنادق. حليت أعاليها بشرفات للدلالة على النهاية العلوية للأسوار العلوية، وهي شرفات مسننة تدل بقاياها على الوظيفة العسكرية للقصبة.

الأبراج: تضم كل واجهة من واجهات السور الخارجي للقصبة أربعة أبراج مربعة تدعمه. سمك جدرانها ١,٥م، وأبعادها (٤x4م). يتم الاتصال بينها عبر ممشى السور الذي يمكن الجنود من أداء مهامهم على أكمل وجه.

الأبواب: وهي الوسيلة الوحيدة للتواصل بين داخل وخارج القصبة. جاءت أبوابها كبيرة مدعمة الجوانب بأبراج مربعة أكثر تحصينًا من غيرها دون زخرفة، تدل بقاياها على أن الباب الرئيسي كان في الواجهة الشرقية للقصبة في مقابل جبل أمدغوس، وبهذا القسم الأكثر تحصينا شيدت دار بالقرب من الباب الرئيسي الذي يرجح من خلال مساحته أنه كان بابا ذي مصراعين لا مصراع واحد. بالمقابل توجد في الجهة الغربية آثار حصن يرجح أنه منفذ في الحالات الحرجة.

المكونات الداخلية: ضمت مساكن للجند، ومخازن للطعام والسلاح، ومسجد... تمت الاستعانة بالأجر في بعض عناصرها المعمارية الداخلية كالنوافذ، والأقواس كما تدل على ذلك بقايا ركام وسط القصبة. وعلى غرار القصبات الإسماعيلية تميزت بفندق لمبيت القوافل وأبناء السبيل.

تجسد الطابع العام لهندسة قصبات الفترة الإسماعيلية، من خلال لتقيد بضوابط العمارة الإسلامية الصحراوية سواء داخل الأسوار أو خارجها. صممت بتصميم منطقي يشمل كل المرافق والأجنحة ومرابض الخيل ومخازن المؤن وأبراج التحصين والمراقبة وان كانت لا ترقى إلى مستوى القصبات التي شيدت في الحواضر الكبرى كفاس ومكناس وتادلا وغيرها.

شيدت الأسوار بتقنية التراب المدكوك أو الطابية، والحجر، والجير. يقوم البناؤون بعد حفر الأساسات باختيار أماكن ومقالع التراب الأصلح من المناطق المجاورة، ونقله إلى مكان العمل عن طريق وسائل النقل أو بالدواب. ويتم فتح أكوام التراب المجمعة من الوسط على شكل صهريج دائري، يملأ بالماء والجير، ويخمر لمدة طويلة قد تتجاوز الشهر قبل أن يشرع في العمل بتخليط الجزء المحتاج فقط لملء الحفر بالحجارة المخلوطة بالطين والجير إلى أن توازي الأرضية[١٧]، ثم "يعمدون إلى وضع صندوق خشبي أولا يرمون فيه الملاط ثم يدكونه بقوة ثم يسحبون الصندوق ويتركون الملاط يجف"[١٨].

مع فارق بسيط يتجلى في استخدام الرمل المحلي الخشن بالمخلوط بالجير. تتخلله أحيانا أحجار بركانية سوداء وگرانيتية محلية، وبعض قطع من الآجُر المحروق التي يزداد حجمها وعددها في زوايا الأسوار والأبراج. ورغم انتشار الحجارة الضخمة بجوار القصبة، فإن المولى إسماعيل فضل استخدام تقنية التابوت في بناء أسوار هذه القصبة ولضمان تتماسك الطبقات فيما بينها وتشكيل كتلة متراصة ومنسجمة من جهة لكونه أصبح خاصية عمرانية مغربية بالنسبة للحصون والأسوار والرباطات، ولقدرة الطين على امتصاص الحرارة والبرودة، والمحافظة على اعتدالها عبر الفصول من جهة أخرى.

هدم القصبة:

"لما مات المولى إسماعيل انقطع عن عسكر القلع المدد الذي كان به قوامهم ولم يلتفت إليهم أحد من أولاد الملوك من بعد، ولا وصلهم بإعانة فخرجوا إلى التمعش على أولادهم وأنفسهم بالقبائل التي هم فيها وامتدت أيدي النهب للقلع التي تركوها فأخذوا أبوابها وسقوفها ولم يبق إلا الجدران..."[١٩]

ثالثًا: تحولات وضعية هضبة مَنْتْ والوضعية الحالية لقصبتها

٣/١-تحول هضبة مَنْتْ إلى ملكية باشوات زيان في الذاكرة المحلية

يصف شارل دوفوكو منت خريف ١٨٨٣ بقوله "هضبة جرداء سطحها رملي صلب وعار تنتشر فوقه قطع صغيرة ومتفرقة من الأرداوز، يكسوها نبات مخضر بعد الأمطار الربيعية، ويرويها عدد كبير من المجاري الصافية"[٢٠]. وجاء في العدد ١١٣١من الجريدة الرسمية للمملكة سنة ١٩٣٨، أن بعض عقارات "مَنْتْ" كانت في ملكية قبيلة آيت عُمَرْ. وبناء على بعض التصحيحات وعلى تقرير ملحق في الموضوع بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٣٨م بلغت مساحته ٥٠٤١٠ هكتار تقريبًا على ملكية فرع ازِيتْشُونْ من آيت عُمَرْ، يتكون من ثلاث قطع:

القطعة الأولى: تسمى "منسلار ٣" تبلغ مساحتها ١٤٢٠٩٠ هكتار يحدها الملك الغابوي ووادي كسيكو. **القطعة الثانية:** تسمى "بُوخَلْخَالْ" على مساحة ٣٣٥٠٧٠ هكتار، يحدها ملك غابوي قسم بُوخَلْخَالْ، وشْعبَة أجيوْان، وطريق لمرور البغال نحو رأس بُوخَلْخَالْ وحمو ولد عباس ومن معه. ويجاورها عند النصب ٤ ملك زيان والأراضي المشتركة بينهم. **القطعة الثالثة:** تسمى "بُوتَازَارتْ"[٢١] مساحتها ٥٠٥٠ هكتار تحدها أملاك الغابة، واد كسيكسو[٢٢].

بناءً على هذا النص الرسمي، نستنتج أن آيت عُمَرْ كانوا يملكون جزءً مهما من أراضي مَنْتْ امتد سنة ١٩٣٨ حتى رأس بُوخَلْخَالْ.

تحولت ملكية هضبة مَنْتْ بعد هذا التاريخ من ملكية آيت عُمَرْ، إلى ملكية باشوات زيان خلال الفترة الاستعمارية. بناءً على اتفاق للمستعمر مع باشوات وقواد المرحلة الاستعمارية، التزموا فيه بضمان الأمن مقابل السيطرة على الأرض. ووفقًا للذاكرة الجماعية لشيوخ القبائل المستقرة بها، والمجاورة لها فقد سيطر عليها الباشا حَسَنْ عامل زيان في إطار حَرْكَاتْ قوية للمنطقة، وأمر خدمه بدفن ذخيرة بالقرب من إحدى العيون المائية. اشتكى آيت عُمَرْ الباشا للحاكم الفرنسي الذي حضر إلى عين المكان وطالبهم بدليل ملكية الأرض.

- **قالوا:** هذه أرضنا وهذه زرائبنا وحطاتنا[٢٣].
- **أجاب الباشا:** بل تلك زرائب رعاتي وحجتهم واهنة.
- **رد الحاكم:** وما دليك على ذلك؟
- **قال الباشا:** كان جدي يعيش ويقاتل على هذه الأرض، وأوصاني أن أبحث عن ذخيرة تركها بمكان ما قرب العين.

أمر بعدها الحاكم الفرنسي بالحفر، فوجد الذخيرة المعلومة وأجبر آيت عُمَرْ على الرحيل في الحين إلى ما وراء واد بُولعْمَايْلْ الذي أصبح حدا بين زيان وآيت عُمَرْ فأصبحوا تدريجيا جزءً من زمور. وتقول رواية أخرى أن آيت عُمَرْ ادعوا توفرهم على وثائق ملكية الهضبة، فأمرهم الحاكم الفرنسي بإحضار الوثائق إلى سوق اثنين أكلمُوسْ. اعترضهم خدام الباشا وصادروا وثائقهم. وأصبحت مَنْتْ التي تضم أزيد من ٦٢٠٠ هكتار من المراعي أرضا زيانية ضمن نفوذ آيت حَرْكَاتْ، وكانت آيت حَدُو حَمُو أكثر القبائل قطعانا بها متبوعين بآيت مْعِيْ[٢٤].

تنقسم مَنْتْ حاليًا إلى دوارين هما: دوار الباشا (حَسَنْ)، ودوار أمْهرُوقْ (القايد أمْهرُوقْ). تكون سكانها من خدامهما وأعوانهما، ومن قبائل اشترت، أو اكترت أراضيها منهما، وبها آثار القصبة الإسماعيلية المنسية.

٢/٣-الوضعية الحالية لقصبة مَنْتْ

تؤكد الروايات الشفوية، أن أسوار الواجهات الشمالية والشرقية والغربية للقصبة متماسكة، كانت تقطنها مئات اللقالق عند معاينتها في بداية ستينات القرن الماضي. أما عند زيارتنا لها في ٢٢ غشت ٢٠١٩، فقد تهاوت جدران الواجهات الشرقية والغربية والجنوبية رغم بقاء بعض آثارها تعلو أرضية القصبة بأقل من متر. بالمقابل ما يزال جزء من الجدار الشمالي، وبعض جدران برجين من أبراجه صامدة في وجه عاديات الزمن وشاهدًا على حقبة مهمة من تاريخ المنطقة حتى اليوم.

يقع مجال القصبة في ملكية إمحزان الذين يحرصون على حماية تراث أجدادهم. وحجتنا في ذلك على استقرار خلفهم حتى اليوم بجوار القصبة، وحرصهم على الاحتفال بالمناسبات في الخيام الرفيعة في كل المناسبات، وهو ما يستدعي تفعيل دور اللجنة الوطنية للتراث العسكري التي أحدثت منذ سنة ٢٠٠٠ لتجديد القصبة حتى تندمج في محيطها الذي يوفر كل الإمكانيات الطبيعية من أودية، وطرق، وجبال، وغابات، وسهول دائمة الخضرة.

خَاتِمَةٌ

مارست قصبة منت إلى جانب وظيفة سكن الجنود، وتخزين المؤن، وظائف عسكرية واقتصادية متعددة. وبفضلها تم تطويق مجال أزاغار زيان، واستعاد المخزن المركزي هيبته. وانتشر بذلك الأمن والاستقرار، في التجمعات والبوادي المجاورة على طول محاور التجارية بين الغرب وطرق التجارة الصحراوية، مما انعكس إيجابًا على اقتصاد البلاد، وفسح المجال أمام السلطان مولاي إسماعيل لتحقيق نهضة رائدة على جميع الأصعدة وإعادة ترتيب موازين القوى الداخلية في البلاد.

شيدت من الطين والرمل الأبيض الموجودين بكثرة في محيطها، والمتميزين بالصلابة والقدرة على مواجهة عاديات الزمن. وشكلت إلى جانب قصبة أدخسان أشهر القصبات العسكرية بلاد زيان، كما توجد العشرات من القصبات (تيغرمين) المخصصة للسكن، والتي شيدها أبناء ومعارف القائد الزياني على الضفة اليمنى على لنهر مُ ْرْبِيعْ، وبجنْ المّاسْ، وأزُوكُو، ومَنْتْ، والكُعِيدَة، أبرزها قصبات الباشا حسن ابن موحى وحمو الزياني بجبل أقلال[٢٥] بل وعاينا قصبات لقادة زيان وبنفس المواصفات بين أزمور والجديدة بدكالة.

تشير الأرقام إلى أن ١٠٧% من قصبات البلاد فقط في حالة جيدة لأنها تحظى باهتمام الدولة والمستثمرين الخواص، بينما ما يزال معظمها يصارع عوادي الزمان والإهمال والتهميش، والبعض الآخر اندثر أولم يعد لها إلا قليل الأثر[٢٦]. وهو أمر يدفعنا للهمس بصوت جهوري للقائمين على الشأن الثقافي محليا وجهويا ووطنيا لحماية هذا التراث المعماري الأصيل المهدد بالاندثار. وذلك بتكثيف الجهود للرفع من نسبة القصبات المصنفة بجهتنا في إطار العدالة المجالية، خاصةً مع خلق "الشركة الوطنية لتثمين القصبات لترميم وإعادة تأهيل القصبات" في أفق إدماجها في التنمية المستدامة.[٢٧] وبموازاة ذلك يظل الأمل معقودًا على البحث الأركيولوجي للكشف عن المزيد من أسرار هذه القصبة المنسية، وتحقيق التكامل المطلوب بين التاريخ والأركيولوجيا.

الملاحق

الصورة 2: صورة تركيبية لبقايا الواجهة الشمالية لقصبة منت وأحد أبراجها

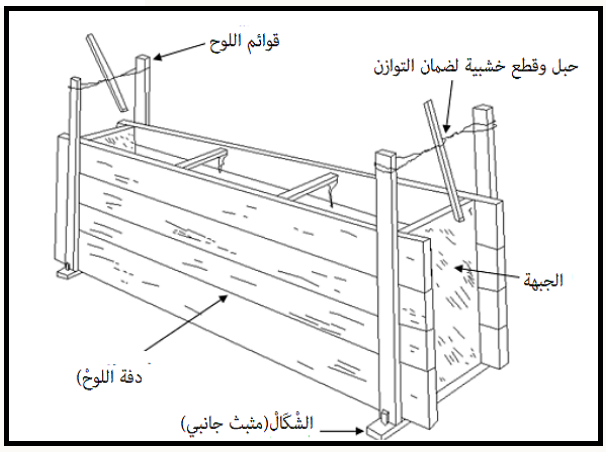

رسم توضيحي ا

تقنية التابوت المستخدمة في بناء أسور القصبة[٢٨]

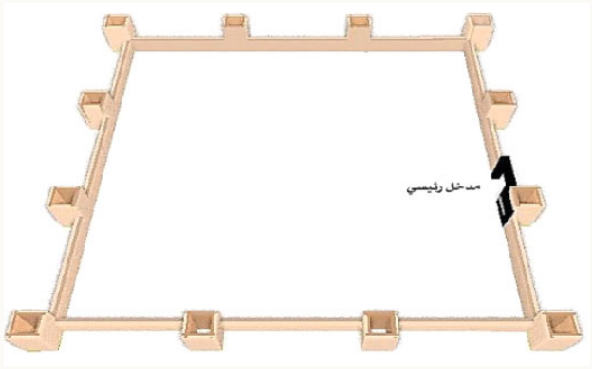

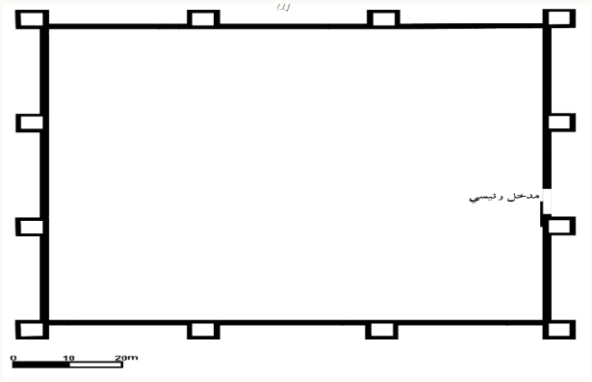

تصميم ا

تصميمان للواجهة الخارجية لقصبة مَنْتْ(٢٩)

الصورة 1

جانب مما تبقى من ملقى الجدارين الجنوبي والغربي للقصبة

الاحالات المرجعية:

(١) جادور محمد، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ، ٢٠١١. ص٨٩.

(٢) حناوي محمد، **النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف**، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٣م، ص ٢١٧.

(٣) ابن منظور محمد بن مكرم بن على جمال الدين، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤، ج٢، ص٦٧٦-٦٧٧.

(٤) عامر حسن أحمد عجلان، "**العمائر الحربية الأندلسية القصبات نموذجا**"، ضمن مجلة كان التاريخية، ع ٣٢، يونيو ٢٠١٦، ص١٥١-١٦١.

(٥) أقصبي منير، **العمارة العسكرية بفاس عبر التاريخ**، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٥. ص١٨.

(٦) عامر حسن أحمد عجلان، مق. س، ص ١٥٢.

(٧) المغاري مينة، مادة "قصبة"، ضمن **معلمة المغرب**...، مطابع سلا، ٢٠٠٤، ج١٩، ص٦٦٣٣.

(٨) وفر الموقع للقصبة مطلا على منطقة يتجاوز أفق الرؤية فيها ٢٠ كلم بين جبلي تورزيان وسيدي صالح جنوبا، وبين أدار مولاي هاشم وبُوتكْزَضَنْ وتَابُوقلمْتْ شمالا، بينما يمتد أفق الرؤية غربا حتى ضواحي ولماس (٣٥ كلم).

(٩) تقول الرواية الواردة في المخطوط (نوردها مع التحفظ على بعض مضامينها) أن أخبار شهرة التستاوتي وصلت إلى أحمد المنصور فأرسل إليه بالقدوم. فأمر الشيخ طلبته بأن يكتبوا إليه:" فلولا أن أمرك الله علينا وعلى غيرنا ونسبك لجدنا[...] لعزلناك عن ملك ربنا وما قال لك الناس فينا فسر الألوهية والملكوتية والرسالة والنبوءة فأقدم بنفسك ترنا" فغضب السلطان وأرسل له عشرة آلاف فارس فلما رآهم يبتسم وهو يقول: "أولهم النحل وأمر ثان" فامتلأ ما بين السماء والأرض نحلا ولم يبرح من العشرة آلاف إلا القليل. فلما سمع السلطان الخبر ركب في مائة ألف فارس وارتحل حتى نزل منت فأقام بها نحو أربعين يوما وهو حيثما تحرك تلقاه أسراب النحل حتى تأدب وتاب، واتخذ التستاوتي في عز الله وهيبته وأطلق عليه بويزيزوان (صاحب النحل). (المحلى، ورقة ٩، ص ١٧).

(١٠) **تازطوط**(le pigeon ramier) : كلمة أمازيغية أصلها " أزضوض وتنطق باللهجة المحلية "الزطوط"، وهي طائر من جنس الحمام يميل لونه إلى الزرقة، يتميز بوجود بقعتين باللون الأبيض على جانب العنق وعلى أطراف الجناحين. الزطوط هو حمام الغابة، وهو من الطيور المألوفة التي تفضل العيش بعيدًا عن المناطق المأهولة بالسكان ويوجد هذا الطائر بأعداد كبيرة في غابات بوحسوسن حتى اليوم.

(١١) لم نعثر في مصادر الدولة السعدية ولا في اللغة المحلية على ما يعضد هذه الرواية، لكننا لا نستبعد أن يكون السياق العام لهذه التسمية صحيحا مع بعض الإضافات لإضفاء الطابع الكرامي على الحدث.

(١٢) الزياني أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا**، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة -الرباط، ط٢، ١٩٩١، ص٨١.

(١٣) بوزكراوي مريم، **الأدوار التاريخية والمقومات التراثية للقصبات العسكرية ـ القصبة الإسماعيلية نموذجا**. مطابع الرباط نت، ٢٠١٦، ص٥

(١٤) الزياني أبو القاسم، **الترجمان المعرب**، ص ٢١-٢٢.

(١٥) الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا...**، ج٧، ص ٧٠.

(١٦) الفاسي محمد، رسائل إسماعيلية، صدرت عن السلطان مولاي إسماعيل إلى ولد الأمير المامون، وعددها خمسة. المطبعة الملكية بالرباط ١٣٨٧/١٩٦٧، ص. ١٩.

(١٧) لوكيلي منتصر، قصبة سلوان التاريخية: من المقاربة الأثرية إلى سبل رد الاعتبار، ضمن **ندوة قصبة سلوان التاريخ والحضارة**، منشورات المجلس العلمي للناضور، مطبعة شركة الواحة، الناظور، ط١، ٢٠١٧، ص٢٠٤.

(١٨) ويندوز جون، **الرحلة إلى مكناس**، ترجمة زهرة إخوان، مراجعة نجية العلمي وفاطمة بوعبدلي، نشورات ك. آ. ع. إ، مكناس، ١٩٩٣، ص ٤١.

(١٩) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، م. س، ج ٥، ص. ٥٧٣.

(٢٠) دوفوكو شارل، **التعرف على المغرب**، ترجمة المختار بلعربي، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩، ج١، ص٦٣.

(٢١) **بوتازارت:** كلمة أمازيغية مركبة من " بو " أي صاحب، و"تازارت" أي شجرة التين. وتعني الكلمة مجتمعة صاحب شجرة التين. والراجح أن المنطقة كانت معروفة بشجرة تين أكثر من اسم صاحبها.

(٢٢) الجريدة الرسمية، عدد ١١٣١، بتاريخ ١٩٣٨/٠٤/٢٩، **قرار وزيري بتاريخ ٢٠ محرم عام ١٣٥٦ (١٩٣٨/٠٣/٢٢) بالمصادقة على أعمال التحديد الإداري المتعلق بالعقار المشترك المدعو "منت" الكائن بتراب قبيلة ايت عمار (بوالماس)**، ص ٧٤٨.

(٢٣) **الحطة:** المكان المعلوم الذي يستقر فيه المنتجعون خلال كل موسم انتجاع.

(٢٤) أقبوش إدريس، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بمنطقة زيان خلال فترة الحماية (١٩١٢-١٩٥٦)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، ك. آ. ع. إ، القنيطرة، ٢٠١٦-٢٠١٧. وفي هذا الصدد يتداول لشيوخ آيت معي أنهم أصحاب هذه الأراضي وأن الباشا أمرهم ذات يوم بالمغادرة لمدة يوم أو يومين لتسهيل عملية القنص ثم منعهم من العودة بعد ذلك (رواية شفوية لبعض شيوخ آيت معي بتاريخ ٢٠١٩/٠٨/٠١).

(25) Pilant Lieutenant, "Notes Contributives À L'étude De La Confédération Zayan", **Les Archives Berbères**, Publication Du Comité d'Études Berbères De Rabat, 1919, P95

(٢٦) القاضي محمد، "**القلاع والقصبات في المغرب**"، مجلة الثقافة الشعبية، منشورات الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث، مطبعة أوال، البحرين، ع ٤٠، شتاء ٢٠١٨، ص ١٨٠-١٨٢.

(٢٧) شهير وسام، "**تثمين قصبة سلوان ورهانات التنمية**"، ندوة قصبة سلوان التاريخ والحضارة، منشورات المجلس العلمي للناضور، مطبعة شركة الواحة، الناظور، ط١، ٢٠١٧، ص ٢٣٠.

(28) Bazzana André, «L'architecture De Terre Au Moyen-Âge Considérations Générales Et Exemples Andalous », **Colloque International Sur L'architecture En Méditerranoïde**, Rabat, 1999, P199.

(٢٩) التباعي جواد، **نماذج من التراث الثقافي ببلاد زيان من العصر الوسيط إلى الزمن الراهن: دراسة وتثمين**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، ٢٠٢٠-٢٠٢١، ص٢٣٨.